هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه

دراسة قرآنية

إعداد

د. عبد السميع خميس العرابيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

جامعة الأقصى - غزة - فلسطين

dr.ab_@hotmail.com

ملخص: جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنة ترشد الأمة إلى تعاهد القرآن بالتلاوة والتدبر، والعمل بما جاء به، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقّه، أو هجران تلاوته أو ترك العمل به، وعدم الاستماع له، والاستشفاء به، والانقياد لحكمه، ولقد توعّد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: {كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً}(سورة طه:١٠١-٩٩)، وهذا البحث يظهر ويبين مظاهر الهجر الذي وقع فيه المسلمون اليوم، ويضع العلاج الناجع لتلك المظاهر.

Abstract:
The valuable texts of Quran and Sonna guide the Muslim Omma (community) to study the Quran with considerable recitation and contemplation and to behave accordingly. Furthermore, they warn from the failure to do what they ought to; in other words, its desertion, its negligence, its avoidance, or its disregard in actions taken. Threatening those who turned away from it, Allah the Almighty said:
' Thus We narrate to you (some) tidings of what has gone before; and We have already brought you a Remembrance from very close to Us. Whoever veers away from it, then surely upon the Day of the Resurrection he will carry an encumbrance, Eternally (abiding) therein; and (how) odious for them upon the day of the Resurrection is it as a burden.' (Surat Ta- Ha: ٩٩-١٠١).

This research explains the harmful consequences of the desertion of Holy Quran which some Muslims suffer from in today's modern world and tries to set forth possible effective remedies.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد و على آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن القرآن الكريم هادي البشرية ومرشدها، ونور الحياة ودستورها، وما من شيء يحتاجه البشر إلا وبيَّنه الله فيه نصاً أو إشارة أو إيماء، عَلِمه مَنْ عَلِمه، وجهله من جهله ولذا اعتنى به صَحْبُ الرسول ﷺ وتابعوهم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً وعلى ذلك سار سائر السلف.

جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها، جاء ليكون منهج تربية ومنهاج حياة لا ليكون كتاب ثقافة يقرأ لمجرد المعرفة، جاء لينفذ حرفاً حرفاً وكلمة كلمة ، وتكليفاً تكليفاً، جاء لتكون آياته أوامر يتلقاها المسلمون ليعملوا بها فور تلقيها ، كما يتلقى الجندي في ثكنته أو في الميدان « الأمر اليومي » مع التأثر والفهم والرغبة في التنفيذ، ومع الانطباع والتكيف وفق ما يتلقاه [1].

لقد تحدث القرآن عمن تتلى عليه آيات القرآن، فلا يستجيب لها، ولا يكيف حياته وفق هديها بل يستمر على منهجه الخاطئ وطريقه المنحرف، كأن صوت السماء لم يبلغ سمعه، أو كأن في أذنه صمما يمنعه من السماع، يقول تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (سورة لقمان:٧) ، وفي آية أخرى يقول تعالى: {يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (سورة الجاثية:٨)، صحيح هذه الآيات وردت في سياق الحديث عن الكافرين الذين رفضوا قبول الإسلام، لكنها تتحدث عن موقف سيء في التعامل مع آيات الذكر الحكيم، بتجاهلها والإصرار على مخالفتها والمتسم بهذه الصفة يستحق عذاب الله الأليم، وان كان يصنف نفسه ضمن المسلمين والمؤمنين.

إن هجر القرآن والإعراض عنه، وعدم تعلمه وتعليمه، وعدم العمل به، كل هذا من أسباب الدمار ومن ضمن المهالك الكبيرة التي توعد الله عَزَّ وَجَلَّ أصحابها بالعذاب ، ولقد حكى الله عز وجل شكوى الرسول الله ﷺ لربه هجران قومه للقرآن فقال سبحانه: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً}(الفرقان:٣٠)، ففي هذه الآية يشكو الرسول ﷺ إلى الله تعالى من هجر قومه للقرآن العظيم، وإنما قال سبحانه ﴿ اتخذوا ﴾ ولم يقل (هجروا) ليدلل على أن الهجر صار ديدنهم ومنهجهم وطريقتهم في التعاطي مع القرآن العظيم.

وقد بينت في هذا البحث مظاهر الهجر التي هجر فيها القرآن، وعملت جاهدا بإذن الله تعالى على وضع العلاج والحلول لهذا المرض العضال.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ٣١٧/٥

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وخاتمة وثبت المراجع.

التمهيد ويشتمل على: التعريف اللغوي والاصطلاحي لعنوان البحث.

المبحث الأول: مظاهر هجر القرآن الكريم

المظهر الأول: هجر السماع والإصغاء

المظهر الثاني: هجر التلاوة

المظهر الثالث: هجر التدبر والفهم

المظهر الرابع: هجر تعليمه و الدعوة إليه

المظهر الخامس: هجر الحفظ

المظهر السادس: هجر الإيمان بالقرآن

المظهر السابع: هجر العمل بالقرآن

المظهر الثامن: هجر التحاكم إلى القرآن الكريم

المظهر التاسع: هجر الاستشفاء و التداوي به

المبحث الثاني: علاج ظاهرة هجر القرآن الكريم

أولا: حسن الاستماع

ثانيا: الورد اليومي

ثالثا: التلاوة التأملية

رابعا: العمل بالقرآن

خامسا: الحُكمُ بما أنزلَ اللهُ

سادسا: الحفظ الكامل لكتاب الله

سابعا: الاستشفاء بالقران و التداوي به

ثامنا: التلاوة والتجويد

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

ثبت المصادر والمراجع

تمهيد:

معنى مظاهر:

لغة: ظهر الشيء ظهوراً: إذا وضح وبان، وأظهرت الشيء: أي بينته، والظهور: بدو الشيء الخفي، يقال: أظهرني الله على ما سرق مني أي أطلعني عليه[١]، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلا تَقْرَبوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾(الأنعام:١٥١) أي الفواحش الظاهرة والخفية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (النور: ٣١) أي من اكشف منها وظهر.

اصطلاحا: هي الأصناف والأشكال التي انكشفت وظهرت وتعددت، والمقصود الأوجه الظاهرة التي هجر فيها القرآن الكريم.

معنى الهجر:

أولا في اللغة: الهَجْرُ والهِجْران: تركُ ما يَلْزَمك تَعَهُدُهُ، قال تعالى: (إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجوراً) (الفرقان: ٣٠) أي: يهجرونني وإياه، وقال تعالى: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ} (المؤمنون:٦٧) أي: تَهْجرون محمداً، ومن قرأ تُهْجِرون أي: تقولون الهُجْر، أي: قول الخَنا، والإفحاش في المنطِق، تقول: أَهْجَر إهْجاراً [١].

والهَجْرُ أيضاً: الهَذَيانُ، أي: قالوا فيه غير الحق، ألم تر إلى المريض إذا هَجَرَ قال غير الحقّ. والهُجْرُ بالضم: هو الإفْحاشُ في المنطق، والخَنا[٢].

قال الفراء في قول الله جلّ وعزّ: [مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ] (المؤمنون:٦٧)، فهذا من الهَجْر والرَّفْض، وقد قرأ ابن عباس: تَهجرون من أَهْجَرْتُ، وهذا من الهَجْر وهو الفُحْش، وكانوا يَسُبّون النبيّ ﷺ إذا خَلَوا حولَ البيت ليلا[٤].

وقال صاحب اللسان: الهَجْرُ ضد الوصل هَجَره يَهْجُره هَجْراً وهِجْراناً صَرَمَه والاسم الهِجْرَةُ وجاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ .... وَلَا يَقْرَبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هَجْرًا }[٥] يريد هِجْرانَ القلب وتَرْكَ الإخلاص في الذكر فكأَنَّ قلبه مهاجر للسانه

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب ص ٥٢٧.
(٢) كتاب العين ٢٥٣/١" ، المحيط في اللغة ٢٨٣/١
(٣) الصحاح في اللغة ٢٤٣/٢
(٤) تهذيب اللغة ٢٥٣/٢
(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده كتاب المكثرين ح٧٥٨٥

غير مُواصِلٍ له، ويقال هَجَرْتُ الشيء هَجراً إذا تركته و أغفلته[١]، والمهجور : المتروك والمفارَق، والمراد هنا ترك الاعتناء به وسماعه[٢] .

ثانيا في الاصطلاح: يطلق الهجر ويراد به مفارقة الإنسان لأي شيء آخر ، و قد يكون ذلك بالبدن كما في قوله تعالى: (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) (سورة النساء : ٣٤)، و قد يكون باللسان أو بالقلب، كما في قوله تعالى: (إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً)(سورة الفرقان :٣٠)، أما قوله عز و جل: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً } (سورة المزمل:١٠)فهو محتمل للهجر بالبدن و القلب و اللسان، و قوله سبحانه: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } (سورة المدثر :٥) أي: اترك وهو حث على المفارقة بالوجوه كلها .

والمقصود بهجر القران في قوله تعالى: (إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً)(سورة الفرقان:٣٠) هو الترك بالكلية وعدم الإيمان به وعدم التأثر منه ، فمهجوراً من الهجر بفتح الهاء بمعنى الترك وهو الظاهر ، وقيل : مهجورا من الهجر بالضم على المشهور أي الهذيان وفحش القول والكلام على الحذف والإيصال أي جعلوه مهجوراً فيه إما على زعمهم الباطل نحو ما قالوا : إنه{ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [سورة الفرقان:٥] وإما بأن هجروا فيه ورفعوا أصواتهم بالهذيان لما قرئ لئلا يسمع كما قالوا: { لاَ تَسْمَعُواْ لِهذا القرءان والغوا فِيهِ} (سورة فصلت:٢٦)، وجوز أن يكون مصدراً من الهجر بالضم كالمعقول بمعنى العقل والمجلود بمعنى الجلادة أي اتخذوه نفس الهجر والهذيان ، ومجيء مفعول مصدرا مما أثبته الكوفيون لكن على قلة[٣].

وقيل الظاهر أن { مهجوراً } بمعنى متروكاً من الإيمان به مبعداً مقصياً ، وقيل : من الهجر والتقدير{ مهجوراً } فيه بمعنى أنه باطل [٤].

قال الإمام الرازي في تفسيره: وقد ذكروا في المهجور قولين: الأول: أنه من الهجران أي تركوا الإيمان به ولم يقبلوه وأعرضوا عن استماعه، الثاني: أنه من أهجر أي مهجورا فيه ثم حذف الجار ويؤكده قوله تعالى: { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامرا تَهْجُرُونَ } [المؤمنون :٦٧] ثم هجرهم فيه أنهم كانوا يقولون إنه سحر وشعر وكذب وهجر أي هذيان [٥].

---

(١) اللسان ٢٥٠/٥
(٢) تفسير ابن عاشور ، ٧٠-٧٣
(٣) انظر: روح المعاني ٨٦/٤
(٤) البحر المحيط ٣٦١/٨
(٥) التفسير الكبير ٤١٥/١١

والخلاصة: مظاهر هجر القرآن: الأوجه الظاهرة التي هجر فيها القرآن وذلك بعدم الإيمان به و الإقبال عليه، والإعراض عن استماعه وتلاوته، و وصف القرآن الكريم بأوصاف لا تليق.

المبحث الأول: مظاهر هجر القرآن الكريم

المظهر الأول: هجر السماع والإصغاء

تعريف السمع: يطلق السمع على معان عدة منها:

١- السَّمْعُ حِسُّ الأُذن قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق:٣٧).

٢- بمعنى الإصغاء تقول سَمَّعَه الصوت وأسمعه اسْتَمَعَ له وتسَمَّع إليه أَصْغى، فإذا أَدْغَمْت قلت اسَّمَّعَ إليه وقرئ {لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى }(الصافات:٨)، وقرئ (لا يَسْمَعُون إِلَى الْمَلَإِ الأَعْلَى) مخففاً.

٣- و تأْتي سَمِعْتُ بمعنى أَجَبْتُ ومنه قولهم: سَمِعَ الله لمن حَمِدَه أي: أجاب حَمْده وتقبّله، يقال اسْمَعْ دُعائي أي أَجِبْ لأَن غرض السائل الإجابةُ والقَبُولُ [١] .

٤- والتسميع : التشْنيعُ والتشْهير، والتسْميع : الإسْماع يقال : سَمَّعَه الحديثَ وأَسْمَعه بمعنى نقله واسْتَمع له: أَصْغى قال الله تعالى:{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً}(الجن:١)، وقوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ } (ق:٤١).

٥- ويُعَبَّر بالسَّمْع تارةً عن الفَهم وتارةً عن الطاعة تقول : اسْمَعْ ما أَقولُ لك ولم تَسْمَعْ ما قلتُ لك أي لم تفْهَمْ وقوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهم مُّعْرِضونَ}(الأنفال:٢٣)أي أَفْهَمهم بأن جَعَلَ لهم قُوَّةً يَفْهَمون بها.

٦- ويأتي بمعنى الطاعة قال الله تعالى: {إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ }(يس:٢٥)أي أَطيعون، ويقال : أَسْمَعَكَ الله أي لا جَعَلَكَ أَصَمَّ وهو دعاءٌ، وقوله تعالى : { أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ }(الكهف:٢٦)أي ما أَبْصَرَه وما أَسْمَعَه على التعَجُّب نقله الجَوْهَرِيّ[٢] ورجل سَمَّاعٌ إذا كان كثير الاستماع لما يُقال ويُنْطَقُ به قال الله عز وجل: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ} (المائدة:٤١) ، وقوله عز وجل: {خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى

---

(١) اللسان ٨/١٦٢.
(٢) تاج العروس ١/٥٣٢٥

أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم} (البقرة:٧) فمعنى ختم طبع على قلوبهم بكفرهم وهم كانوا يسمعون ويبصرون ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يُجْدِي عليهم فصاروا كمن لم يسمع ولم يُبْصِرْ ولم يَعْقِلْ(١).

مظاهر هجر السماع:

يتواصى أهل الكفر بعدم السماع للقرآن، حتى لا يقعوا تحت تأثيره، ويقودهم للإسلام والإيمان، وفي ذلك يقول سبحانه: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} (الأنبياء:١-٣).

ويصير الأمر أوضح من ذلك عندما يعلن الكفار هذه الوصية بصورة حاسمة قاطعة. تستدعي التناهي فيما بينهم عن سماع القرآن، قال تعالى حاكياً عن هذا التناهي: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }(فصلت:٢٦) إلى هذه الدرجة كان لسماع القرآن أثره في نفوس أعدائه، فهم يتشاغلون عنه، ويتلهون بغيره، ويتعاهدون فيما بينهم على عدم الاقتراب من تاليه، حتى لا يصل آذانهم، حتى إذا وقع بعضهم في ذكر قاصداً أو ناسياً لاموه، وعنفوه، وعابوه، وقالوا له: { أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ }؟ (الأنبياء:٣)، ومع هذا فقد اخترق القرآن قلوبهم قال تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ)(سورة الشعراء:١٩٨-٢٠٠).

لقد نعتوا القرآن بالسحر، ونعتوا أنفسهم بالإبصار، وحقيقة الأمر على غير ذلك، فما القرآن إلا وحي مؤثر من خالقهم، وما ادعاؤهم الإبصار إلا محاولة تبرير ضعيفة، وهزيمة منهزمة، يسترون تحتها ما في نفوسهم من استكبار وعتو، وتواص على عدم الانصياع للحق، وخروج من الباطل، بل وحرص على استخدام كل الأساليب الإعلامية التي تمنع وصول أي اثر لهذا البث القرآني المؤثر في النفوس، { لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ }(فصلت:٢٦): غالبوا أثره بالمكاء والصفير، والتخليط و التعييب(٢).

---

(١) اللسان ١٦٢/٨

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٩٩/٤

وهكذا أغلق الكافرون كل وسائط العلم لما يتلوه النبيّ ﷺ وأتباعه عليهم {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} (فصلت:٥)، فقد أكنوا قلوبهم، أي جعلوها في "كِنّ"، وهو الوعاء الحافظ لما فيه فلا يسمح بدخول شيء عليه، هذا إن وقع على أسماعهم شيء من آياته، ولكنّهم لخوفهم أن تتأثّر قلوبهم من آياته إن وقعت عليها فقد صنعوا حاجزاً سابقاً عن القلب، هو الحاجز في الإسماع، فقد صممناها عن السماع وأغلقناها أن يدخل فيها شيء من هذا الكلام. ثمّ زيادة في إبعاد هذا الكلام عنهم جعلوا بينهم وبينه حجاباً، ولذلك قال تعالى قبل هذه الآية: { فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} (فصلت:٤).

إنّ هذه الحواجز التي ذكرها الله تعالى مرتّبة على درجة من الأهمّية، فالقلب هو وعاء الفهم والإدراك والإحساس، وهو منطلق الشعور الذي تحصل به الإرادة، فهو محطّ تسمية الإنسان إنساناً، ومقصد القرآن هو البلوغ إلى هذا المرجل الذي لا حياة للإنسان بدونه، ثمّ ذكر الله السمع وهو واسطة الإنسان نفسه بينه وبين العلم والقرآن، ثمّ ذكر الله المانع الخارجي والذي لا يحصل السماع مع وجوده، وهذا تفصيل له أهمّيته لغفلة الناس عنه.

لذلك سارعوا إلى وضع الحواجز الداخلية والنفسيّة والخارجيّة حتّى لا يسمعوا لهذا القرآن.

وحول هذه المعاني يقول ابن هشام تحت عنوان:(استكبار قريش عن أن يؤمنوا بالرسول ﷺ) :..... فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي، استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع منه، وان خفض رسول الله ﷺ صوته، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته، وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه(١).

لقد كان سماع القرآن بالنسبة للمجتمع المكي يعتبر مفاجأة مذهلة، لم تعتدها آذانهم ولا عقولهم، ولم يعهدوا في ثقافتهم مثل هذا الخطاب الذي فاق في بلاغته وتأثيره كل ما سمعته آذانهم من قبل شعراً كان أو نثراً، لذلك كان الحرص على إسماع الكافرين القرآن يعتبر عملاً دعوياً ضخماً، له تكاليفه وتضحياته، حتى يحتاج الأمر إلى رجل ذي عشيرة قوية تمنعه من بطش الباطشين، نتيجة لإسماعهم ما يكرهون كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه.

لقد توعد الله تعالى الكفار بصنيعهم هذا قال تعالى منتصرا للقرآن، ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران: { فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا } أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن

---

(١) السيرة النبوية ١/٣١٤.

وعند سماعه، { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ } أي: بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم { ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ }(فصلت:٢٩) (١)، وقال:{ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً}(طه:٩٩-١٠١)

قال السعدي في تفسيره : يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين بالحق الذين ردوه وأعرضوا عنه أنه يحول بينهم وبين الإيمان فقال:{ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ } الذي فيه الوعظ والتذكير والهدى والإيمان والخير والعلم الكثير، { جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } يسترهم عن فيمه حقيقة وعن التحقق بحقائقه والانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير،{ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} أي: أغطية وأغشية لا يفقهون معها القرآن بل يسمعونه سماعا تقوم به عليهم الحجة،{ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } أي: صمما عن سماعه، { وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ } داعيا لتوحيده ناهيا عن الشرك به،{ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا } من شدة بغضهم له ومحبتهم لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى: { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (الزمر :٤٥).{ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ } (الإسراء:٤٧) أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقدحوا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق وإنما هم متعمدون على عدم إتباعه، ومن كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئا ولهذا قال: { إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} أي: متناجين { إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ } في مناجاتهم: { إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا } فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم وقد بنوها على أنه مسحور فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي لا يدري ما يقول(٢).

هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن.

أما حال المؤمنين فقد أمر الله تعالى عباده الاستماع للقرآن والإنصات له فقال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: ٢٠٤] ولا يوجد على وجه البسيطة

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١٧٤/٧
(٢) تفسير السعدي ٤٥٩/١

كتاب يحرم هجره، ويجب تعاهده وتلاوته إلا القرآن الكريم، فإن هذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها أي كتاب.

وإنك لتعجب إذا رأيت الإنسان يتوق لسماع كل شيء ولكن بمجرد أن يعرض عليه القرآن يعرض عن سماعه ، بل إن البعض لا يطيق سماع القرآن ويعتبره أمرا يبعث على الملل، أو الحزن.

إن كثيرًا من المسلمين يضعون المصاحف في علب جميلة مزخرفة ومزركشة.. وكأن القرآن جزء من الديكور والزينة!! ولا تكاد تسمع القرآن في مكان حتى تسأل عمن توفى!! وهكذا أصبح القرآن الذي هو حياة الأمة، رمزا للموت فيها، فلا يقرأ إلا في سرادقات العزاء، وجعلوا من فاتحة الكتاب – التي هي دستور حياة المسلمين، والتي كان حرص الشارع على قراءتها سبع عشرة مرة على الأقل يوميا في كل ركعة من الصلوات المفروضة – وسيلة لجلب الرحمة على الأموات، فلا تذكر ميتا حتى يقال " اقرءوا له الفاتحة "!! كم نسمع من نشرات الأخبار ..كم يسمع كثيرون من الأغنيات ، وكم نسمع كثيرا من الأقوال والأحاديث، كم نسمع من غيبة ونميمة ، كم نسمع من لعن وشتيمة وكل ذلك يصب في قلوبنا كدرا يخلط صفاء الإيمان، وظلمة تطفئ نور اليقين وأحوالاً تقسوا بها القلوب، {مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} (الأنبياء:٢)، والقرآن لم يجعل لهذا، بل أنزله الله تعالى للتدبر والتأمل والفهم والتطبيق. قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ }(يس:٧٠).

إن القرآن لم يقبل منا بالسماع فحسب، بل أراد منا الاستماع، وهو السماع الواعي المتدبر، وأنك إذا رأيت هذه الظاهرة السيئة جداً، ظاهرة اللغو والقرآن يتلى، لترحمت على السامعين فضلاً عن المستمعين! ومن الغريب أنك لا ترى استنكارا لهذه الظاهرة الغريبة المنكرة!!وأكبر الظن أن هؤلاء اللاعبين لا يعرفون قيمة الاستماع إلى القرآن الكريم، ويحسبون ذلك من الأمور العادية، بينما الآية المباركة والروايات صريحة بضرورة الاستماع والإنصات، وفيهما انفتاح لباب الرحمة الإلهية التي تتطلع إليها قلوب المؤمنين {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف:٢٠٤) إنها الرحمة الإلهية التي تهبط على هؤلاء المنصتين المستمعين.

المظهر الثاني: هجر التلاوة

إن ظاهرة هجر القراءة والتلاوة من المظاهر البارزة في المجتمع الإسلامي حتى أصبح القرآن الكريم لا يتلى إلا على الأموات، وحتى إن أحدنا إذا سمع قائلاً يقول: الفاتحة يتبادر إلى ذهنه أن هناك ميتاً، وتتبادر إلى أنفه رائحة السدر والكافور .

ومع كل دعوات القرآن لتلاوته وترتيله ، و دعوات الرسول ﷺ فإننا لا نجد آذاناً صاغية إلا عند القليل من المؤمنين فلا تجد إلا القليل منهم من يحافظ على ورده اليومي قال تعالى : {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً } (المزمل:٤)، وقال: (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) (المزمل:٢٠)، ومما يثير العجب والدهشة أن معظم المؤمنين لا يجيدون قراءة القرآن وتلاوته، ولا يميزون بين قراءته وقراءة أي كتاب أو مقال فضلا عن قلة معرفتهم بضوابط أحكامه فلا يميزون بين إخفاء وإدغام، أو إقلاب وإظهار أو ..... وإن من الفاجعة أننا نرى من هم يحملون أعلى الدرجات العلمية ولا يصح تلاوة سورة الفاتحة، بل قلما نجد من الحكومات الإسلامية من يقرر مادة التلاوة والتجويد لتعليم النشء كيفية القراءة.

وقد حذر الصادق المصدوق ﷺ من هذا النوع من الهجر فقد روى البخاري بسنده عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا قُلْنَا: لَا قَالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَإِذَا .....حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا ..... قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَا رَأَيْتُ قَالَا نَعَمْ .....وَالذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(١)

إذاً: ينام عن القرآن في الليل، ولا يتشرف بأن يقوم لله عَزَّ وَجَلَّ ولو بركعتين في جوف الليل، فالقيام: هو المطية التي يمتطيها أهل الآخرة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إذا نام الغافلون: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْموداً }[الإسراء:٧٩]. وقال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }[السجدة:١٦].

---

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز رقم ١٢٩٧

لقد حث نبينا ﷺ على تلاوة القرآن وحذر من الانقطاع عنه بل أمر من نام عن حزبه أن يقرأه في أي وقت من اليوم ولا يتركه فعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ : قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ. (١)

إنه الحرص على عدم فواته مهما حالت دونه الحوائل أو اعترضته العوارض.

وقد كان نبينا ﷺ يوصي أصحابه بتعاهد القرآن وتلاوته فعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّه عنهما قَالَ كُنْتُ أَصومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَالَ فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: ... وَاقْرَأِ الْقرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًا وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا .(٢)

وقد يتخوف بعض المؤمنين من التلاوة لأنه لا يعرف أحكامها، فهذا رسول الله ﷺ يقول: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران)(٣) قال النووي: وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته(٤).

المظهر الثالث: هجر تعليمه و الدعوة إليه :

لقد كانت الوظيفة الأولى للنبي ﷺ تعليم القرآن والدعوة إليه قال تعالى: ﴿ هوَ الذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِينَ رَسولاً منْهُمْ يَتْلو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢]، وقال: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسولاً منكُمْ يَتْلو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكم ما لَمْ تَكُونوا تَعْلَمونَ }(البقرة:١٥١)، وهي وظيفة الربانيين من أمته: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلناسِ كُونوا عِباداً لي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } (آل عمران: ٧٩) .

---

(١) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقم ١٢٣٦

(٢) رواه الإمام مسلم كتاب الصيام رقم ١٩٦٣

(٣) أخرجه مسلم ٧٩٨، ٥٤٩/١، والترمذي ٢٩٠٤، ١٧١/٥، وأبو داود ١٤٥٤، ٧٠/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٨٥/٦.

قال الرازي: (كونوا ربانيين) "دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً؛ فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيُه وخاب عملُه"(١).

لقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه مسئول هو وأمته عن تبليغ القرآن والدعوة إليه ، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }(الزخرف٤٤)، وبين الله لنبيه طريق الدعوة وأسلوبها بقوله: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (النحل:١٢٥)وهذه الحكمة أنزلها الله على رسوله {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً } (النساء:١١٣).

وقد أمر النبي ﷺ بتعليم القرآن بقوله: (بلغوا عني ولو آية)(٢)، وجعل ﷺ تعلم القرآن وتعليمه سبباً في الوصول إلى رتبة الخيرية في هذه الأمة، فقال ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)(٣).

ولا يثقال الواحد منا أجر تعليم الآية، فقراءة كل حرف بعشر حسنات، ومن علم غيره شيئاً من القرآن كان له مثل أجر المتعلم كلما قرأ القرآن أو علمه لغيره وهكذا يكون هذا التعليم صدقة جارية له، من حياته إلى ما بعد مماته فالقرآن لم ينزل للتثقيف وتخزين المعلومات وإنما نزل للعلم والعمل معاً، نزل ليقود امةً في صراعها المرير، ويوجه حركتها ويراقب مسيرتها الدامية.

المظهر الرابع: هجر التدبر والفهم

معنى التدبر في اللغة:

هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه(٤) وتدبر الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة، ولهذا جاء على وزن التفعل كالتجرع والتفهم والتبين، ولذلك قيل إنه مشتق من النظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها. ومنه تدبر القول، كما في قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ } {المؤمنون:٦٨}(٥).

---

(١) التفسير الكبير، ٢٣/٤.
(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٢٠٢
(٣) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح رقم ٤٦٣٩.
(٤) انظر: لسان العرب، ٢٧٣/٤، الفروق اللغوية، للعسكري، ص٥٨ وكتاب التعريفات للجرجاني، ص٧٦.
(٥) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ص٢١٦.

معنى تدبر القرآن: هو تفهم معاني ألفاظه والتفكر فيما تدل عليه آياته، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه(١).

قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } {ص:٢٩}: " ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع؛ فيتعظوا ويعملوا به"(٢)، وقال أبو بكر ابن ظاهر:" تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه"(٣)، ويقول الهروي رحمه الله: " أبنية التذكر ثلاثة: الانتفاع بالعظة والاستبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة"(٤)، فمعنى تدبر القرآن : تأمل معانيه وتبصر ما فيه (٥).

ويستفاد من كلام العلماء في معنى التدبر: هو التفكر والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحكمه والمراد منه، ويشمل تدبر القرآن الأمور الآتية:

-معرفة معاني الألفاظ وما يراد بها، وهذا الأمر يجهله الكثير من المؤمنين.

-تأمل ما تدل عليه الآية أو الآيات، مما يفهم من السياق أو تركيب الجمل، وهذا فقط عند العلماء الأفذاذ.

-اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره، وهو تأثر وقتي عند البعض فقط.

-الخضوع لأوامره، واليقين بأخباره.

فالتدبُّر في كتاب الله تعالى هو أن تقرأ القران بوعي وفكر، فلا تكون القراءة مجرَّد إجراء الأحرف على الشفاه واللسان، ولكن يجب أن يكون لها مستقرٌّ في القلب، ومسكنٌ في العقل، حتى تؤتي القراءة ثمرتها.

المظهر الخامس: هجر الحفظ:

كتاب الله لا يمل قارئه ولا يكل سامعه ولا يخلق على كثرة الرد وقد عدّ العلماء هذا من خصائص القرآن بل عدّوه من وجوه إعجازه، وحفظ القرآن سمة لهذه الأمة وخصيصة لهذا القرآن وحجة لله في هذا الزمان على بني الإنسان، ومما يساعد على حفظ القرآن أن الله تعالى

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٥٠١/١، وتيسير الكريم الرحمن، ص٧٣٣، والقواعد الحسان لتفسير القرآن القاعدة(١١) ص٢٨.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٣/٢٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٣٨/١٩.
(٤) مدارج السالكين، ٤٤٤/١-٤٤٩.
(٥) الوسيط ١٠١٢/١

يسره للتلاوة والحفظ، قال الحق جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧) روى البخاري عن مجاهد أنه قال: "يسرنا القرآن أي هونّا تلاوته"(١).

وذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية قال: "سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه" وذكر عن سعيد ابن جبير أنه قال: "ليس من كتب الله كتابٌ يُقرأ كله ظاهراً أي عن ظهر قلب إلا القرآن"(٢). وفي تفسير ابن كثير قال: "سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراد أن يتذكر من الناس"(٣) فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسّر الله حفظه ومعناه.

قد يحفظ أحدنا أشعارا كثيرة لشعراء، وقد يحفظ نصوصاً كبيرة لأدباء وبلغاء، أما أن نحفظ القرآن فهذا ما يندر وجوده هذه الأيام حتى في أوساط المؤمنين الدارسين، ولهذا فإنك إذا سمعت أحدهم يستشهد بآية مباركة يرتبك و يتلعثم، بينما ينطلق لسانه مغرداً في القصائد الشعرية.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على حفظ القرآن حتى انه كان يسبق جبرائيل قبل أن يكمل المقطع القرآني النازل عليه، فجاء القرآن ليطمئنه على حفظه، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(القيامة:١٦-١٩). وليستحضر المرء في ذلك التدارس الأعظم الذي كان بين رسول الهدى ﷺ وبين جبريل عليه السلام فإذا كان أمر التدارس والتسميع بين الرسول وبين جبريل ليستمر حفظه، فما بالنا نحن لا ننال من هذا الشرف شيئاً ولا نقتدي بهذه الصورة العظيمة لخير رسل الله ﷺ وخاتمهم ولأمين الوحي جبريل عليه السلام.

المظهر السادس: هجر العمل بالقرآن:

لقد هجر بعض المسلمون العمل بما جاء القرآن الكريم به والانقياد لأوامره ونواهيه، و أعرضوا عن معرفة حلاله وحرامه، ولا عجب أن نرى اليوم معظم المسلمين لا يفقهون الحلال والحرام ولا ينقادون لأوامر القرآن ونواهيه.

وقد وصف النبي ﷺ الذي لا ينقاد لأوامره بأنه شر الناس فقال: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى

---

(١) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن
(٢)تفسير الجامع لأحكام القرآن مج٩ ج١٧ص٨٦
(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٦٤/٤

شيء منه)(١) إن هذا القرآن لم ينزل ليكتب بماء الذهب، ويوضع على الأدراج والأرفف، ولم ينزل ليتغنى به القراء بأصوات تطرب الأسماع فحسب، ولم ينزل ليتلى على المحتضر، ولا لتلاوته على الأموات في قبورهم وقد أفضوا إلى ما قدموا، ولا في مآتمهم بعد دفنهم لتسلية أقربائهم، وإنما نزل ليقيم حياة البشر على منهج الله الذي ارتضاه لهم في هذا الدين الذي حمله هذا الكتاب، نزل ليؤمن به الناس ويعملوا الصالحات، ولهذا كثر فيه اقتران العمل الصالح بالإيمان، وبهما يكون صلاح الأمة وعمارة الأرض، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }(الإسراء:٩) وعلامة إيمان المرء العمل بالقرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١] قال عبد الله بن مسعود ﷺ معنى حق التلاوة: "والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوّل منه شيئاً على غير تأويله"(٢).

فالعمل بالقرآن: هو تصديق أخباره، وإتباع أحكامه، بفعل جميع ما أمر الله به، وترك جميع ما نهى الله عنه؛ ولهذا سار السلف الصالح على ذلك رضي الله عنهم، فكانوا يتعلمون القرآن، ويصدقون بأخباره، قال أبو عبد الرحمن السُلمي رحمه الله حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها، حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً ، وقد روى الإمام مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا(٣)، وهو يدل على أن الحفظ كان مقرونا بالتفسير إذ يمكن حفظها في أقل من شهر.

إن القرآن الكريم كتاب حياة ومنهج وجود للإنسان، وهو يقدم للمسلم كل ما يحتاج في الدنيا والآخرة، ويجيب عن كل ما يخطر بباله من تساؤلات، وهاجر العمل بالقرآن فهو الذي لا يبالي بمخالفة النصوص، ولا يبالي بالعمل على غير ما جاء به القرآن، فهو الروح ولا حياة دون روح قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري، كتاب مسند المكثرين رقم ١١١٢٤ ، ٣/٣٧، والحاكم (٢/٦٧-٦٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ١/٢٧٥

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة، باب ما جاء في القرآن ح رقم ٤٦٨

جعلناه نوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (الشورى:٥٢)، وإنه النور ولا بصيرة دون نور ، وإنه اليدى الذي لا فلاح دونه. ورغم هذا فإن أحاسيسنا لازالت بليدة اتجاهه ، ولا نلمس عظمته إلا من هنيهات خشوع لا تكاد تأتي إلا قليلا .

إن قيمة القراءة والحفظ لآيات القرآن إنما تأتي من قصد الاهتداء بها. وتجسيد معانيها في واقع الحياة وإذا تجردت تلاوة القرآن وحفظه من جانب الالتزام العملي التطبيقي فإنها تستلزم سخط الله تعالى وغضبه ولهذا وجه القرآن توبيخا عنيفا للذين يتلون آياته. لكنهم غير ملتزمين بفعل الخير والبر، يقول تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (البقرة: ٤٤).

وقد ذم القرآن الكريم أتباع الديانات السابقة الذين يتراشقون فيما بينهم بالاتهامات، ولا يتخلقون بالتعاليم الأخلاقية التي يقرؤونها في كتبهم المقدسة يقول تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }(البقرة:١١٣).

المظهر السابع: هجر الإيمان بالقرآن

يقول ابن كثير: وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب(١).

لقد هجر بعض من المسلمين اليوم كتاب الله وأقبلوا على الإيمان بكل الأباطيل والأكاذيب والأساطير التي تتعارض مع القرآن والسنة والعقل والحكمة.

إن معنى الإيمان بالقرآن: أن نؤمن به كله، وبأن كل ما فيه حق، وبأن من كفر بحرف واحد منه فقد كفر به كل . ومن كفر بحد واحد من حدوده فقد كفر به كله، وأنه لا يجوز لنا أن نؤمن ببعضه ونكفر بالبعض الآخر، كما ضرب الله تعالى لنا في ذلك مثلا ببني إسرائيل

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١٠٨٠/٦

حيث قال عنهم: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة:٨٤-٨٥]، فرتب الله تبارك وتعالى عقوبة عظيمة على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، قال تعالى: {فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة:٨٥]، ثم قال بعد ذلك: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة:٨٦] وهذا كفعل اليهود تماماً، فإن الآيات التي توجب أن تصان الأنفس، وأن يكون ولاؤهم للمؤمنين من أبناء دينهم، وأن يكونوا أذلة لهم وأعزة على الكافرين، هذه تركوها بالكلية وأعرضوا عنها، لكن إذا جاءوهم أسارى قالوا: إخوانكم في الدين، فلابد أن نفادوهم.. كيف وهو محرم عليهم إخراجهم؟! ولكن هكذا يفعل الهوى والعياذ بالله!(١) وأي تعطيل لكتاب الله أكثر منه في هذه الأيام.

المظهر الثامن: هجر التحاكم إلى القرآن الكريم:

وهو من أهم وأخطر أنواع هجر القرآن الكريم اليوم هجر تحكيمه وتطبيقه في الحياة، فمعظم المسلمين اليوم لا يحتكمون إلى كتاب الله في حياتهم الخاصة والعامة، وفي المقابل نجدهم يتحاكمون للقوانين الوضعية...

ولقد دلت جميع الأدلة النقلية والعقلية على أن الذي يجب أن يمضي في هذا الكون؛ كل الكون هو حكم الله تعالى وحده .. لا مناص للعباد والبلاد من أن تحكم إلا بما أنزل الله تعالى .. ولا تتحاكم إلا إلى شرع الله تعالى وقانونه .. وأن هذه الحياة الدنيا لا ينتظم أمرها ولا يستقيم حالها على العدل والحق إلا عندما تُحكم بما أنزل الله .. وليس بغيره من أهواء وشرائع البشر ! قال عز وجل: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً }(المائدة:٤٨)، وقال : { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة:٤٤) ، وقال: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١٢١/١

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء:٥٩)، ولا شك أن تنحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شئون الحياة وهجره من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين، ولقد كانت عواقب الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين ما حل بهم من أنواع الفساد، وصنوف الظلم واستبداد، والذل والمهانة، وإن ما يعصر القلب ألما بل دما أننا لا نكاد نري دولة في هذا العصر تطبق شرع الله تطبيقا كاملا الأمر الذي أدى إلى وقوع المصائب، وأنواع الفرقة والعداوة بينهم، وكذا التقاتل والتناحر، كما ظهر الفقر والتدهور الاقتصادي، مع أن في بلاد المسلمين – كما هو معلوم – فيها أعظم الثروات وبمختلف الأنواع، قال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} (المائدة:٤٩)وأعظم سبب في ذلك هو هجر التحاكم إلى القرآن الكريم، والتحاكم إلى الطاغوت قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً}(النساء:٦٠)، فإن قوله عز وجل: {يَزْعُمُونَ} تكذيب له فيما ادعوه من الإيمان ، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلا، بل أحدهما ينافي الآخر ، والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو : مجاوزة الحد، فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وقد قال تعالى مُنكراً على هذا الضرب من الناس ، ومقرراً ابتغاءهم أحكام الجاهلية ، موضحاً أنه لا حكم أحسن من حُكمه : {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}
(المائدة:٥٠) فالمرادُ منهم شرعاً والذي تُعُبّدوا به هو: الكفرُ بالطاغوتِ لا تحكيمُهُ ، وقدْ دلتْ هذه الآيةُ الكريمةُ على أنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية .

يقول ابن تيمية عن هذه الآيات: ذم الله عز وجل المدعين الإيمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيرًا ممن يدعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك– يقصد رحمه الله التتر– وغيرهم، وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضًا، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات، أو في نفوسهم

وأموالهم عقوبة على نفاقهم، قالوا إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق، ونوفق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات(١)، ويقول ابن كثير: 'فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى:{ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر'(٢)، فالتحاكم إلى غير الشرع – وهو حكم الطاغوت والجاهلية – ينافي الإيمان، وهو من علامات النفاق: يقول الشيخ السعدي في هذا الصدد:'الرد إلى الكتاب والسنة شرط في الإيمان. فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت كما جاء في الآية:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا.. }[النساء:٦٠]. فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه، في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك... (٣)

ويحكي ابن القيم شيئا من عواقب تنحية حكم الله تعالى فقال:'لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليها، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان، وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير ...'(٤).

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: [يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ-وذكر منها:- وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ](٥) ، وفي رواية: [وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ](٦).

المظهر التاسع: هجر الاستشفاء و التداوي به:

---

(١) الفتاوى ٣٣٩/١٢-٣٤٠، بتصرف يسير
(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٠٩/٣
(٣) تفسير السعدي ٩٠/٢، باختصار
(٤) الفوائد ص ٤٢ - ٤٣
(٥) رواه البيهقي وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣٢١/١
(٦) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣٢١/١

وردت نصوص كثيرة في أن القرآن الكريم شفاء، قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً } [الإسراء: ٨٢]. وقال: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } [فصلت: ٤٤].

وفي سنة الرسول ﷺ صور تطبيقية للتداوي بالقرآن، سواء كان دواء للأبدان، أو للنفوس، يقول ابن كثير: "يقول تعالى عن كتابه الذي أنزله على محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إنه شفاء ورحمه للمؤمنين، أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل. فالقرآن يشفي من ذلك كله"(١).

وهجر الاستشفاء بالقرآن خلاف السنة، فهو مذموم وممقوت فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتهما (٢).

ومن أشكال هجر التداوي والاستشفاء به في جميع أمراض القلوب وأدوائها أن الكثير من المسلمين يطلبون العلاج والشفاء من غيره كالسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يرجون التداوي من القرآن بل إن الكثير منهم من يسافر إلى بلدان يلتمس الشفاء دون أن يكلف نفسه ولو لمرة واحدة الاستشفاء بكتاب الله تعالى وقد يتساءل عن أبعاد المعالجة بالقران، فيقول: هل كون القرآن شفاء على حقيقته؟ أم أن ذلك واقع على طريق المجاز؟ وهل يعالج أمراض القلوب والأرواح فحسب؟ أم يمتد العلاج به إلى أمراض الأبدان؟ وإذا كان العلاج ممتدا به إلى أمراض الأبدان فما وجه المعالجة به؟ وكيف يكون علاجا؟

والجواب: أن القرآن علاج باعتبارات متعددة:

أولاً : معالجته لأمراض النفوس والقلوب:

أما معالجة القرآن لأمراض النفوس والقلوب فإنه تفرد بذلك دون سواه، يقول ابن القيم: "فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم، وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة ألبتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما نظن من حصول صحة القلب بدون

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٣/٩

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض: ٢ / ٩٤٣، والبخاري في فضائل القرآن، باب فضائل المعوذات ٩ / ٦٣، ومسلم في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات برقم: (٢١٩٢) ٤ / ١٧٢٣

أتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشيطانية وصحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه، فإنه من الأموات، وعلى نوره فإنه منغمس في بحار الظلمات "(١) وهذان النوعان من أمراض القلوب أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعاده، وشفائه في معرفته لربه، واستقامته على طاعته، والبعد عما نهى عنه، وحذر منه.

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }(يونس:٥٧)" أي من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من دنس)" (٢).

ويذهب جمهور علماء أهل السنة إلى أن النصوص المقررة لكون القرآن شفاء، أنها عامة في أمراض القلوب والأبدان، وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "قال الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً }(الإسراء:٨٢) والصحيح أن (مِنْ) هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }(يونس:٥٧) فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة. وما كل أحد يؤهل ويوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه؛ لم يقاومه الداء أبدا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه)"(٣).

المبحث الثاني: علاج ظاهرة هجر القرآن الكريم

أولا: حسن الاستماع والإنصات

قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأعراف ٢٠٤).

يقصد بالسماع مجرد استقبال الأذن لذبذبات صوتية دون إعارتها انتباهاً مقصوداً، أما الاستماع فهو مهارة يعطي فيها المستمع اهتماماً خاصاً واهتماماً مقصوداً لما تتلقاه أذنه من

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم ٤/٧

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢/٤٢١

(٣) انظر زاد المعاد لابن القيم ٣/١٧٨

أصوات ليتمكن من استيعاب ما يقال، أما الإنصات فهو أعلى مرتبة لأن فيه تركيزاً أكبر من الانتباه والإصغاء من أجل هدف محدد، لذلك كان الأمر الإلهي بالاستماع للفهم والتدبر وبالإنصات للخشوع عند سماع القرآن الكريم، والمعنى: وإذا تليت آيات القرآن فاسمعوها بتدبر واسكتوا عند تلاوته إعظاماً وإجلالاً للقرآن لعلكم ترحمون(١) .

إن حسن الاستماع هو الأول والمبدأ والفاتحة والبداية قال تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ }(الزمر:١٨)، وتأمل بلاغة القرآن المعجزة الذين يستمعون وليس يسمعون ، فالاستماع أعظم من السماع، فالسماع كلام عابر يمرّ على أذنك لقد سمعته لكنك لم تستمع له .. لم تلق له بالاً .. لم تعطه أذناً واعية ..لم تعطه قلباً حاضراً ، إنما المقصود الاستماع الذي تتوجه له بكليتك ، وتقصده بعنايتك ، وتفرّغ له من وقتك ، وتهيئ له نفسك ، وتستحضر له كل الأسباب التي يقع بها حينئذٍ تتنزل الرحمة ، وتغشى النفوس والقلوب ، ونرى حينئذ آثار الخشوع والسكينة والتدبر والتأمل عندما نحسن هذا السماع والإصغاء(٢).

وفي القرآن كثيرا ما ارتبط مفهومي الاستماع والإصغاء مع التفريق بينهما وقد ذكرت سورة الأحقاف أصول السماع الثلاثة: الاستماع، الإنصات، الاستجابة، ففي الآيات من قوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الأحقاف: ٢٩-٣١).

إن الصمت أو السكوت عن الكلام هو المقدمة اللازمة للاستماع لقد قالوا أنصتوا أي اسكتوا وأصيخوا السمع، وهم قبل ذلك ليحسنوا الاستماع كانوا متوجهين بقصد أن يكون بحضرة القرآن ، لذلك فإن حسن الاستماع يكون بالسكوت عن الكلام، والإنصات، وبرغبة محققة واستعداد مسبق(فَلَمَّا حَضَرُوهُ) ما يليه الاستجابة (فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) لقد حققت عملية الاتصال هدفها بتحقق الاستجابة في اتجاه الإنذار، لأنهم ذهبوا يتصلون بقومهم قائلين بأنهم

---

(١) انظر: التفسير الكبير مج ٨ ج١٥، ٨٣

(٢) انظر: التفسير الكبير: ٢٤٥/١٣

سمعوا كتابا يهدي إلى الحق وبالطبع هم استجابوا له وأخذوا يدعون قومهم للاستجابة {يا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(١)

وهذا ليس لأحد فيه عذر ، حتى الأمي الذي لا يقرأ عنده فرصة سانحة لينيل من هذا الكتاب العظيم، والمشغول الذي لا يفرغ ليست له حجة عنده وقت في سيارته وعنده وقت وهو مستلق على فراشه .

قال سفيان الثوري رحمه الله : " أول العلم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر ، ويقول النووي رحمه الله: " ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، فمن ذلك : اجتناب الضحك واللهو والحديث في خلال القراءة إلا كلاما يضطر إليه ، وليمتثل قول الله تعالى : {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأعراف: ٢٠٤) (٢)

ثانيا: الورد اليومي

أمر الله تعالى بتلاوة القران الكريم فقال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: ١٢١) ، وقال: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} (النمل: ٩١،٩٢) ووعد عليها الخير الجزيل قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} (فاطر:١٩)، وقال سبحانه: { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً } (الإسراء: ١٠٦)

كما أمر النبي ﷺ بتلاوته وبيّن ما أعد الله سبحانه وتعالى لمن قرأه من أجر عظيم منها شفاعته به فقال: { اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ }(٣).

فينبغي للمؤمن أن يلتزم بتلاوة كتاب الله تعالى، حيث عليه العكوف يوميا على القرآن بطريق الختمة كلما ختم ختمة بدأ أخرى ليبقى على صلة وثيقة بكلام ربه عز وجل، فقد أخرج الترمذي بسنده عن نصر بن علي ، أن النبي ﷺ سُئِل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الحال

---

(١) انظر: التحرير والتنوير مج ١٢ج٦٢ ص٥٨-٦٢

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص (٩٢)

(٣) رواه مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن ١/٥٥٣، ح ٨٠٤.

المرتحل قيل: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره، كلما حل ارتحل." وقال: حديث غريب (١).

إن الذي يُعاني مشقة في القراءة فهو لا يُجيدها ولا يُحسنها فليقبل على القراءة فإن الله عز وجل يُعظم له أجره ويكون له أجر المشقة وأجر التلاوة بإذن الله إذ من سمات المتقين الأساسية وطبيعتهم اليومية الليلية هي تلاوته وترتيله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ (النمل:٩١) ، أي وأُمرت أن أتلو القرآن قال ابن كثير: "أي أتلوه على الناس وأبلغهم إياه.. أي أنا مبلغ ومنذر"(٢)، والمقصود أن النبي ﷺ أُمر بتلاوة القرآن لنفسه ولأمته ولتبليغه للناس وبيانه ولتحريك القلوب به وإحياء النفوس به بإذن الله عز وجل وقد جاء في دعاء إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(البقرة:١٢٩) ، وقال جل وعلا: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة:١٢٩)، فالتلاوة هي الطريق إلى هذا العلم والجسر إلى ذلك الفهم وهي الباب الذي يلج منه الإنسان إلى تأثر قلبه وميل نفسه وهداية عقله واستقامة سلوكه بالقرآن الكريم، فهو يقينا غذاء القلب الذي لا يحيى الإنسان بدونه، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على غذاء القلب قبل غذاء البدن ويشعرون بالنقص متى حصل شيء من ذلك بعكس المفرطين الذين لا يشعرون إلا بجوع أبدانهم وعطشها أو مرضها وألمها ، أما ألم القلوب وعطشها وجوعها فلا سبيل لهم إلى الإحساس به.

ثالثا: التلاوة التأملية

قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (ص: ٢٩) هذه الآية بين الله تعالى أن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر والمراد بالتدبر تفهم المعاني وتدبر المقاصد ليحصل الاتعاظ ويقع العمل، وقد وردت في القرآن الكريم معاني ومفردات متعلقة بالتدبر وهي معان متقاربة تجتمع في شيء، وتفترق في آخر، منها المفردات الآتية:

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب القراءات رقم ٢٨٧٢

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٣٧٨/٣

الفهم: هو العلم بمعنى الكلام.

الفقه: هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا تقول: تفقه ما أقول: أي تأمله لتعرفه.

البصيرة: تكامل العلم(١).

الفكر: هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالث.

التفكر: استعمال الفكرة في ذلك وإحضارها عنده.

التذكر: من الذكر وهو ضد النسيان، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } { الأعراف:٢٠١}.

التأمل: مراجعة للنظر كرة بعد كرة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه وتحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله(٢).

الاعتبار: وهو من العبور، لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة، ولهذا يسمى (عبرة) قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى }{النازعات:٢٦} وقال تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ } {آل عمران:١٣}.

الاستبصار: وهو استفعال من التبصر، وهو تبين الأمر وانكشافه، وتجليه للبصيرة(٣).

ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر(٤).

والتدبر في القرآن غاية من غايات إنزاله: يقول الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص:٢٩]. ومدح الحق جل وعلا من تدبر وانتفع، فذكر من صفات عباد الرحمن:﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ (الفرقان:٧٣) وقد ذم من لا يتدبرون القرآن وأنكر عليهم فقال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [محمد:٢٤].

التدبر من علامات الإيمان: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر:٢٣)، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(البقرة:١٢١).

---

(١) انظر: كتاب الفروق اللغوية، للعسكري، ص٦٩،٧٣

(٢) انظر: مدارج السالكين، ١/٤٥١.

(٣) مفتاح دار السعادة: ابن القيم رحمه الله تعالى، ص٢١٦ من أول كلمة (الفكر) إلى آخر الكلمات، وقد نقلت بتصرف يسير.

(٤) الأذكار، ص٩٠، والتبيان، ص٦٠.

التدبر يزيد الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(الأنفال:٢).

تدبر القرآن من النصيحة لكتاب الله، قال ﷺ: (الدين النصيحة)، قلنا لمن؟قال ﷺ: (لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)(١).

ترك التدبر يؤدي إلى قسوة القلب: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(الحديد:١٦).

ويأتي التدبر ب:

١ . إعمال الفكر وتقليب النظر وكثرة التكرار بنية العلم بأسرار كتاب الله العزيز، لاستنباط الأحكام وترسيخ المعاني وإدراك بعض المعاني اللطيفة، ونعني بذلك أن نقبل بصدق ، وأن نستمع وأن نتلو وأن نتعلق بالقرآن في كل أحواله بنية التماس علاج أدواء قلوبنا ، وبرء علل نفوسنا ، وذلك ما نحتاج إليه،وصدق تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:٦٩).

٢ ـ سكون الجوارح ، وغضّ البصر ، والإصغاء بالسمع ، وحضور القلب ، والعزم على العمل ، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى.

٣ . استحضار عظمة المتكلم سبحانه وتعالى فهذا كلام رب الأرباب ، وملك الملوك جبار السماوات والأرض ..خالق الخلق ، وواهب الرزق ، ليس كلاماً له مثيل في الحياة كلها ، ليس نظيرٌ فيما تسمعه وتقرؤه من كلام الدنيا وأهلها كلهم ، فإذا استحضرت ذلك كان له أثر.

٤ . استحضار عظمة الخطاب إنه خطاب لك ولكل مستمع.

٥ . الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة، والنظر في أقوال أهل العلم فيها، فقد حوت تلك الكتب كثيراً من تفاسير السلف، كتفاسير الصحابة، وتفاسير التابعين وتابعيهم، كتفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وغيرها كثير، فبالرجوع إلى هذه التفاسير وأمثالها عون لقارئ كتاب الله على تدبر آياته وفهمه الفهم السليم .

---

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان ، ومسلم، كتاب الإيمان رقم ٦٢

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (واللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)(١)

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة: "أفلا يتدبرون القرآن" ، فهذا أمر صريح بالتدبر والأمر للوجوب (٢)، ويروى ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ }(البقرة: ١٢١)، وعن ابن مسعود قال: والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله.(٣) ، وقد كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن تلازم العلم والمعنى والعمل؛ فلا علم جديد إلا بعد فهم السابق والعمل به، ولما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص النبي ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث بل وقال: لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث (٤).

قال ابن قيم الجوزية : "إذا أردت الانتفاع بالقرآن الكريم فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألف سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ "(٥) قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } (ق:٣٧).

رابعا: العمل بالقرآن

العمل هو غاية التعامل مع القرآن الكريم ولب لبابه، ولقد بين النبي ﷺ أهمية العمل بكتاب الله عز وجل في الحديث الذي رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ "(٦)، كما حذر ﷺ من ترك العمل به حين تحدث عن خيار الناس وشرارهم في الحديث الذي رواه

---

(١) رواه البخاري ك فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ح ٤٦١٨

(٢)تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١٧٩/٤

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١٦٢/١

(٤)رواه الترمذي في سننه، كتاب القراءات، رقم ٢٨٧٠

(٥) الفوائد ص ٤ ، ٥

(٦) رواه البخاري كتاب الأطعمة باب ذكر الطعام ح٥٤٢٧ فتح الباري والإمام مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١ ح رقم ٧٩٧

ابي سعيد الخدري: "(ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه)(١) .

إن القرآن الكريم لم ينزل للثقافة المعزولة عن العمل ، فالعمل به هو المقصود الأهم والمطلوب الأعظم من إنزاله، قال تعالى:{ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } (المدثر: ١-٧) إنها المسؤوليات الجسام، والمهام العظام، من القيام المستمر، والانتزاع من التدثر والفراش والدفء إلى ساح الجهاد والكفاح والثورة، وإنها الرسالة التي تحتاج إلى المزيد من البذل والعطاء، والدموع والدماء، كما وتحتاج بعد كل ذلك إلى الشعور بالتقصير، ورؤية ما أعطاه وبذله صغيراً وحقيراً {وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } (٢).

لقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه مسؤول هو وأمته عن تبليغ القرآن والدعوة إليه ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤]، ولذلك نرى ترجمة عملية من النبي ﷺ للقرآن الكريم فقد أثنى الله على خُلُق نبيه الكريم فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:٤)، وقد وصفت أم المؤمنين عائشة ﷺ خلق النبي ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن)(٣)

وقد أنكر الله عز وجل على الذين لا يعملون فقال: " {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } (البقرة ٤٤). وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } (الصف: ٢،٣).

خامسا: الحُكمُ بما أنزلَ اللهُ وأهميته وبيان منزلته:

١- منزلته من توحيد العبادة: الحكم بما أنزل الله وحده هو إفراد الله بالطاعة، والطاعة نوع من أنواع العبادة، فلا تصرف إلا لله وحده لا شريك له، قال تعالى:{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف:٤٠]، فعبادة الله تقتضي إفراده بالتحليل والتحريم.

وتحقيق هذه الطاعة، وإفراد الله تعالى بالحكم والانقياد لشرعه هو حقيقة الإسلام، وكما قال ابن تيمية:' فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم

(١) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري (٣/٣٧)، والحاكم (٢/٦٧-٦٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢) انظر: في ظلال القرآن ٦/٣٧٥٤
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار رقم ٢٣٤٦٠

يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته دونه"(١)

ويقول ابن القيم:"وأما الرضا بدينه، فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى، رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليما، ولو كان مخالفا لمراد نفسه، أو هواه، أو قول مقلده وشيخه وطائفته"(٢)، وفي المقابل فإن من أشرك مع الله في حكمه، فهو كالمشرك في عبادته، لا فرق بينهما، كما قال الشنقيطي رحمه الله:"الإشراك بالله في حكمه، والإشراك في عبادته كلها بمعنى واحد، لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظامًا غير نظام الله، وتشريعًا غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، وكلاهما مشرك بالله"(٣)

وقد سمى الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتًا، حيث قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:٦٠]. والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت(٤)

٢- **منزلته من التوحيد العلمي الخبري:** الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله المتبوعين في غير ما أنزل الله أربابًا لمتبعيهم، فقال سبحانه: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة:٣١](٥).

ويقول ابن حزم – عن قوله تعالى:{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...} –:"لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم، ويحلون ما أحلوا، كانت هذه ربوبية صحيحة،

---

(١) الفتاوى ٣/ ٩١، وانظر النبوات ص ٦٩- ٧٠

(٢) مدارج السالكين ١١٨/٢

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ١٦٢/٧

(٤) انظر: أعلام الموقعين ٤٩/١ - ٥٠

(٥) انظر: المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ٣٣/١

وعبادة صحيحة، قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف"(١).

ويقول ابن تيمية – في هذا الشأن –: "قد قال تعالى:{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...}. وفي حديث عدي بن حاتم وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني، فسمعه يقرأ هذه الآية:{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا..... بين النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم، وصاموا لهم، ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة الرجال، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}"(٢).

إضافة إلى ذلك: فإن الحَكَم من أسماء الله تعالى الحسنى، فقد قال ﷺ : [...إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ...](٣). وقال تعالى:{ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا} [الأنعام:١١٤]. والإيمان بهذا الاسم يوجب التحاكم إلى شرع الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: {...وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}[الكهف:٢٦] .

وقد بين الله تعالى صفات من يستحق أن يكون الحكم له: قال الشنقيطي رحمه الله مبينًا ذلك:"فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع، قوله تعالى: { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ...}، ثم قال مبينًا صفات من له الحكم:{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الشورى:١٠-١١].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي نفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجا..؟ فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعًا من كافر خسيس حقير جاهل.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {...لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف:٢٦]، فهل في الكفرة الفجرة

---

(١) الفصل ٣/٢٦٦

(٢) الفتاوى ٧ / ٦٧

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب رقم ٤٣٠٤، والنسائي كتاب آداب القضاة رقم ٥٤٩٢

المشركين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وجل جلاله أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومنها قوله تعالى:{...إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ}[الأنعام:٥٧]، فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقص الحق، وأنه خير الفاصلين؟

ومنها قوله تعالى:{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس:٥٩]، فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه؛ لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟ سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم"(١)

٣ - **منزلته من توحيد الإتباع**: والمقصود بتوحيد الإتباع: تحقيق المتابعة لرسول الله ﷺ فتوحيد الإتباع هو توحيد الرسول بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان(٢)، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن الحكم بما أنزل الله هو توحيد الإتباع، قال الله تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥]، يقول ابن القيم عن هذه الآية:"أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسمًا مؤكدًا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض... (٣)، كما أن الحكم بما أنزل الله هو تحقيق للرضى بمحمد ﷺ رسولا، ونبيًا: ولذا يقول ابن القيم:"وأما الرضى بنبيه رسولا: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب

---

(١) أضواء البيان ٧/١٧٣ - ١٦٨، باختصار.
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٢٨
(٣) البيان في أقسام القرآن ص ٢٧٠.

وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أنواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه (١).

٤- **منزلته من الإيمان:** يقول الله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [سورة النساء:٥٩]. فعد الشارع هذا التحكيم إيمانًا، يقول ابن حزم:"فسمى الله تعالى تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم إيمانًا، وأخبر الله تعالى أنه لا إيمان إلا ذلك، مع أنه لا يوجد في الصدر حرج مما قضى، فصح يقينًا أن الإيمان عمل وعقد وقول ؛ لأن التحكيم عمل، ولا يكون إلا مع القول، ومع عدم الحرج في الصدر وهو عقد" (٢).

ويقول ابن تيمية:"فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة، أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين، أو الدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه" (٣).

ويقول ابن كثير:"فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى:{ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر } أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر" (٤)، فالتحاكم إلى غير الشرع - وهو حكم الطاغوت والجاهلية - ينافي الإيمان، وهو من علامات النفاق : يقول الشيخ السعدي في هذا الصدد:"الرد إلى الكتاب والسنة شرط في الإيمان. فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت كما جاء في الآية:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا... } [النساء:٦٠]. فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه، في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك... (٥).

يقول ابن تيمية:"فمن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتًا في قلبه، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ولا

---

(١) مدارج السالكين ١٧٢/٢-١٧٣.
(٢) الدرة ص ٢٣٨
(٣) الفتاوى ٤٧١/١٨، و٣٣٦،٤٠٧/٣٥
(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٠٩/٣.
(٥) تفسير السعدي ٩٠/٦، باختصار.

يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار"، كقوله تعالى:{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم:٤٢-٤٣] (١)، ويقول ابن عبد البر:"قد أجمع العلماء أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر"(٢).

إن تحكيم الشريعة استجابة لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ففيه الحياة والصلاح: كما قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ... } [الأنفال:٢٤]، ورفض الشريعة وعدم الاستجابة لها إتباع للهوى، فهو ضلال في الدنيا، وعذاب في الأخرى يقول تعالى: { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ. } [القصص:٥٠]، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: [يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ-وذكر منها:- وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ](٣) ، وفي رواية: [وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ](٤) وصدق الله تعالى ورسوله ﷺ ، فإن الناظر إلى واقع بلاد المسلمين - الآن - يرى ما وقع في تلك البلاد من المصائب، وأنواع الفرقة والعداوة بينهم، وكذا التقاتل والتناحر، كما ظهر الفقر والتدهور الاقتصادي، مع أن في بلاد المسلمين - كما هو معلوم - أعظم الثروات وبمختلف الأنواع، وأعظم سبب في ذلك هو تنحية شرع الله، والتحاكم إلى الطاغوت، وكما قال تعالى:{ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً }(الجن:١٦).

سادسا: الحفظ الكامل لكتاب الله

هذا مبتغى كل مؤمن، و منتهى الشرف والسمو والثواب، فالحافظ يتبوأ أعلى درجات الجنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا (٥)، وبشّر ﷺ قارئ القرآن بأنه مع السفرة الكرام البررة أي مع الملائكة فقال: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ

---

(١) الفتاوى ٦١١/٧، وانظر كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٤.
(٢) التمهيد ٢٢٦/٤.
(٣) رواه البيهقي وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣٢١/١
(٤) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣٢١/١.
(٥) رواه أبو داوود في سننه – كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القرآن ٧٣/٢، ح ١٤٦٤ تحقيق محي الدين عبد الحميد، والترمذي كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ١٧٧/٥، ح ٢٩١٤ وقال حديث حسن صحيح.

الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)(١)، كما بين ﷺ أن أمته هم أهل القرآن وأن تعلم القرآن وتعليمه يجعل صاحبه خير الناس وأفضلهم فقال: (خَ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)(٢)، وكان من وصيته ﷺ لأمته عامة ولِحَفَظَة كتابه خاصة ت القرآن بشكل دائم ومستمر، فقال: (تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ مِنْ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا)(٣)، ولو تأملت – أخي الكريم – في قوله ﷺ: " تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُ لأدركت عِظَمَ هذه الوصية، و لعلمتَ أهمية المحافظة على تلاوة كتاب الله ومراجعته، و بما فيه، لتكون من سعداء الدنيا والآخرة.

ولحفظ القرآن الكريم فوائد عظيمة ، منها:

- قراءة القرآن في كل الأحوال: فإذا حفظ المرء القرآن أو كثيراً منه فإنه يستطيع كما و يقرأه سائراً وجالساً ومتحركاً وواقفاً وفي الليل وفي النهار فيحيا قلبه ويتذكر عقله بإذن ا وجل.
- بلاغة وفصاحة حامل القرآن: فتكون حجته قوية وخطابته بليغة وتذكيره ووعظه مؤثر ليس شيءٌ أعظم من ذكر القرآن وتلاوته إقامة للحجة وتأثيراً في النفوس والقلوب.
- العلم بالشرع وعلمه بالإسلام فإن حفظه للقرآن يجعله كما ورد في النبي ﷺ : (من قرأ فقد استدرج النبوة بين جنبيه بيد أنه لا يوحى إليه)(٤)، فهو يرى الأحكام ويعرف ا ويعرف ما ينبغي وما لا ينبغي مما حفظ من كتاب الله سبحانه وتعالى وهذا أمرٌ من ا المهمة.

سابعا: الاستشفاء بالقرآن و التداوي به

---

(١) رواه البخاري – كتاب تفسير القرآن، باب سورة عبس ح ٤٩٣٧ – فتح الباري ومسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصر الماهر في القرآن ٥٤٩/١.

(٢) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح رقم ٤٦٣٩.

(٣) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن ح رقم ١٣١٧.

(٤) أخرجه الحاكم (٢٠٢٨) ٧٣٨/١، وقال صحيح الإسناد.

القرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[يونس:٥٧]، وفي هذه الآية وصف للقرآن بأربعة أوصاف:

أولاً: أنه موعظة، وهذه الموعظة للمؤمن والكافر، فيوعظ بها الجميع، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى...}[سبأ:٤٦]، وهذا الخطاب هو لكل من يصلح له الخطاب من الناس جميعاً.

ثانياً: أنه شفاء لما في الصدور، فالقرآن شفاء لكل مريض، فهو شفاء للمشرك من شركه، وللمبتدع من بدعته، ولصاحب الشهوة والهوى من شهوته وهواه، فالموعظة والشفاء لكل إنسان، حتى للمشركين إن أرادوا ذلك.

ثالثاً: أنه هدى، فالقرآن هدى للناس أجمعين، لكن الذي يهتدي به في الحقيقة هم المؤمنون، فالقرآن مادة هداية، ولكن من الناس من يضل به مع أنه مادة الهداية، وإنما يقع منهم الضلال بسبب ذنوبهم وجحودهم وكفرهم.

رابعاً: أنه رحمة للمؤمنين، فالقرآن رحمة للمؤمنين، فقد رحم الله المؤمنين فأنقذهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإسلام والإيمان وهذه رحمة من الله لهذه الأمة الأمية، ولو أنه سبحانه وتعالى جعل هدايتها بيد اليهود، الذين فيهم هذه العجرفة والغطرسة والاستكبار، مع أنهم يتلون الكتاب؛ لذلت هذه الأمة في أخذها الخير والهدى من عند هؤلاء.

ومما يدل على أن القرآن شفاء لأمراض الأبدان:

الأول : ثبت أن القرآن يُطَهِّر الأرواح ويباركها ويصلحها، وإذا صلحت الأرواح كان في صلاحها صلاح للأبدان .يقول ابن القيم: "قد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفوس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره. فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به، وحبها له، وتنعمها بذكره وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه أن يكون لها ذلك من أكبر الأدوية، وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية" (١)

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم٣/٦٦

الثاني : ثبوت معالجة الرسول ﷺ بالرقى وإرشاد أصحابه إلى المعالجة بها والرقية كما يـ
ابن الأثير" : العوذة التي يُرْقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات(١
وصح في صحيحي البخاري ومسلم والسنن لأبي داود والترمذي أن رجلا من صحابة رس
الله ﷺ رقى رجلاً كان سيداً في قومه من لدغة حية أو عقرب بفاتحة الكتاب، فشفاه الله، و
على رقيته أجراً، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فأقره على رقيته. وعلى ما أخذه من أجر على رقيته(

ثامنا: تعلم التلاوة والتجويد

ترتيل القرآن الكريم توقير وإجلال لكلام المولى جل جلاله، وبه يكون التدبر والتأمل ومن
ذلك حصول فرصة التغير والتأثر بهذا القرآن قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (النمل:
٩٢)، أي وأُمرت أن أتلو القرآن، قال ابن كثير: أي أتلوه على الناس وأُبلغهم إياه.. أي
مبلغ ومنذر(٣) والمقصود أن النبي ﷺ أُمر بتلاوة القرآن لنفسه ولأمته ولتبليغه للناس و
ولتحريك القلوب به وإحياء النفوس به بإذن الله عز وجل وقد جاء في دعاء إبراهيم:
وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ﴾(البقرة:١٢٩).
فالتلاوة هي الطريق إلى هذا العلم والجسر إلى ذلك الفهم وهي الباب الذي يلج منه الإ
إلى تأثر قلبه وميل نفسه وهداية عقله واستقامة سلوكه بالقرآن الكريم﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ
كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ (الكهف:٢٧). قال النبي :
تعلموا القرآن فاقرؤوه وارقدوا فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو
تفوح ريحه من كل مكان ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل الجراب أوكي على
))(٤)، ولنقف مع الأجر قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُو
رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢٥٤/٢
(٢) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العين: باب الرقية من العين (٩٤٠/٢)، البخاري في صحيحه: كتاب الطب: باب الن
الرقية ح(٥٧٤٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام: باب جواز أخذ الأجر على الرقية بالقرآن والأذكار ح(٢٢٠١)، و
في سننه: كتاب الطب: باب كيف الرقى ح(٣٩٠٠)
(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير
(٤) رواه الترمذي رقم٢٨٧٦ ، ج١٥٦/٥، و قال حديث حسن وابن حبان (٢٠٦، ٥ ٤٩٩ وصححه ورواه البيهقي رقم
٢٢٧/٥ وقال : المشهور مرسل .

﴾ (فاطر:٢٩)، قال ابن كثير: "أي يرجون ثواباً عند الله لابد من حصوله..وفي.. فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة".(١)، وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)(٢) فالذي يحسن التلاوة ويجيدها تصحيحاً وترتيلاً مع السفرة الكرام البررة منزلته مع الملائكة الأطهار في منزلة عالية سمواً بإيمانه وارتفاعاً وقرباً لصلته بالله عز وجل ورفعة لمنزلته وتعظيماً لأجره، قال النووي: قال القاضي يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم)(٣) (قال النووي: وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته(٤)، ومن هنا قال ابن عباس -: (لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة)(٥). أي من غير ترتيل وحُسن تلاوة، وعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ حسن الصوت يتغنىَّ بالقرآن يجهر به" (٦)وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار" (٧)

الخاتمة:- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد أتم الله علينا نعمته بتمام هذه الدراسة التي كانت أهم نتائجها كما يلي :-

أولاً: إن عداوة الشيطان للإنسان جعلته يهجر كتاب ربه مصدر عزته ومنشأ رفعته.

ثانياً: ثبت أن هناك هجر للقرآن الكريم بشكل واضح في تحكيمه وتدبره.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٥٥/٣.

(٢) رواه البخاري – كتاب تفسير القرآن، باب سورة عبس ح ٤٩٣٧ – فتح الباري ومسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الماهر في القرآن ٥٤٩/١.

(٣) شرح صحيح الإمام مسلم للنووي، ٨٤/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي٨٥/٦.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٤٤٩٠، ١٣/٣.

(٦) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن: ٩ / ٦٨، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم: (٢٣٤): ١ / ٥٤٦، والمصنف في شرح السنة: ٤ / ٤٨٥.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣ / ٣٦٠، والبخاري في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن: ٩ / ٧٣ ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضائل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم: (٨١٥): ١ / ٥٥٩، والمصنف في شرح السنة: ٤ / ٤٢٣.) .

ثالثاً: أثبت البحث أن الحكم لابد أن يكون لله تعالى.

رابعاً: ثبت أن هناك عواقب مترتبة علي هجر القرآن والابتعاد عنه.

خامساً: ظهرت سنة الله بأنه لا يُظهر الداء إلا ويقرنه بالدواء ، ولذلك أظهر البحث كيفية علاج ظاهرة الهجر.

سادساً: هناك وسائل للوقاية من هجر القرآن، منها حسن الاستماع، الورد اليومي، التلاوة التأملية، العمل بالقرآن و الحُكمُ بما أنزلَ اللهُ، و الحفظ الكامل لكتاب الله والاستشفاء بالقران و التداوي به والترغيب في تعلم التلاوة والتجويد.

توصيات الدراسة:-

١- توصي الدراسة كافة المسلمين أن يعلنوا الحرب والعداء للشيطان بكل ما يعني ذلك من واجبات ومتطلبات، وأن يقبلوا على كتاب ربهم تلاوة وحفظا وتدبرا وحكما وغير ذلك.

٢- أن تهتم وزارة التربية والتعليم بالقرآن وذلك بوضع مقررات علي الطلاب، تجعلهم يقبلون على دراسته بنهم وهمة.

٣- أن يهتم أولياء الأمور بتربية الأبناء وتوجيههم منذ نعومة أظفارهم على حب القرآن وحب تعلمه.

ثبت المصادر والمراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، طبعة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المطابع الأهلية، الرياض، السعودية.

٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين: موقع الإسلام http://www.al-islam.com

٣. البحر المحيط، مصدر الكتاب : موقع الإسلام، http://www.al-islam.com

٤. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، http://www.alwarraq.com

٥. التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، يحيى بن شرف الدين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط.٣: ١٤١٢هـ - ١٩٩٠م، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة - السعودي.

٦. التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم.
٧.التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ١٩٩٧، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٨.التعريفات: الجرجاني مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com
٩.تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر ابن كثير ت٧٧٤، ط.١: ١٤١٩- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠.التفسير الكبير: فخر الدين، محمد بن عمر الرازي، ط.١: ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١١.التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com
١٢.تهذيب اللغة ، الأزهري: تحقيق عبد السلام هارون، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م.
١٣.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة :(١) ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م
١٤.جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، ط.٣: ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، مطبعة مصطفى البالي الحلبي، مصر.
١٥.الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، دار احياء التراث العربي، بيروت
١٦.الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - السيد محمود الألوسي البغدادي ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥، دار إحياء التراث-بيروت.
١٨.زاد المعاد لابن القيم.
١٩.سنن ابن ماجه، ابن ماجه، ترقيم الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي بدون تاريخ، دار الفكر - بيروت.
٢٠.سنن أبي داود، أبو داود، ترقيم الشيخ محي الدين عبد الحميد بدون تاريخ دار الفكر - بيروت

٢١.سنن الترمذي، الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، ط ٢: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٢٢.سنن النسائي، النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: عبد الفتاح غده ط ٢: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا

٢٣.السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك المعا فري ، مراجعة: الشيخ محمد بيومي، ط.١ : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، مكتبة الإيمان ، المنصورة، مصر.

٢٤.شرح العقيدة الطحاوية: محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة : الثانية - ١٤١٤

٢٥.الضحاح في اللغة، الجوهري، http://www.alwarraq.com

٢٦.فتح الباري شرح صحيح البخاري:الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٧.فتح القدير، الشوكاني، محمد بن على بن محمد، تحقيق: سيد إبراهيم، ط٣: ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م، دار الحديث، القاهرة.

٢٨.الفروق اللغوية مصدر الكتاب : موقع يعسوب[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

٢٩.الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com

٣٠.الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر، ط ١: ١٣٢٧هـ مطبعة السعادة

٣١.في ظلال القرآن: سيد قطب، ط.٧: ١٣٩١هـ- ١٩٧١م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٢.القاموس المحيط - الفيروز آبادي.

٣٣.كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : تحقيق : الدكتور عبد الله درويش ،١٩٦٧م مطبعة العاني ، بغداد.

٣٤.كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشب. بلا رقم طبعه ولا تاريخ نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

٣٥. لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.
٣٦. مجموع الفتاوي، ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد، جمع ابن قاسم- طبعة الرئاسة العامة- السعودية.
٣٧. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، http://www.alwarraq.com
٣٨. مختار الصحاح - محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي ت٧٢١، تحقيق: محمود خاط. ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، مكتبة لبنان - بيروت.
٣٩. المسند، أحمد بن حنبل، ترقيم عبد السلام عبد الشافي، ط ١: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
٤٠. المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المكتبة العلمية، طهران بلا تاريخ.
٤١. الموطأ: الإمام مالك بن أنس، عدد الأجزاء : ٦ ، مصدر الكتاب : موقع الإسلام http://www.al-islam.com